- الفساد و الإفساد -

اذا عرّفنا الفساد تعريفا منطقيا قلنا أن المفهوم الفاسد هو المفهوم الذي لا يستقيم لمنطق العقل ولا يتماهى مع ما انطبع في غرائز العقول من البديهيات التي تُبرهن بها الأشياء وهي ليست بحاجة الى براهين. واذا ما قلنا ان الانسان هو الكائن الوحيد الذي أُعطي العقل ليكون ضمير الله وخليفته في هذا الوجود فهو أيضا الكائن الوحيد الذي أعطي حرية الإختيار بحيث تكون القوانين التي تسيّره ليست قوانين جبرية كما القوانين التي تسير الطبائع والإستقصات والافلاك والمجرات. وبهذا يكون جوهر الحرية جوهر مفطور في ذاتية الانسان منذ بدء الإبداع. فالحرية من العقل كالنور من العين والحرف من المعنى والنغم من القيثارة. وكما الشمس بطبيعتها مضيئةكذلك الحرية بطبيعتها مسؤولة. فالحكمة الشريفة علمتنا أن المبدعات جميعها مزدوجة. وكل شيء فيها يحتاج الى ما ازدوج به لينتقل من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل (ليبقى الله وحده لا شريك له مختص بالفردانية) لذا كانت الحرية غير موجودة بالفعل إلا في إطار المسؤولية. وما الأخلاق في واقع الأمر إلاّ نتاج هذا الإزدواج بين العقل والحرية من جهة والحرية والمسؤولية من جهةالأخرى.

عندها يكتمل مثلث الحكمة الهرمسية عقل، حرية، مسؤولية ثلاثة أقانيم في جوهر واحد هو القبس الإلهي الذي يعطي للإنسان هويته الإنسانية ويجعل منه المخلوق الأخلاقي المناقبي الوحيد بين جميع المبدعات. ويجعل منه المؤتمن على نفسه وعلى سائر المبدعات. فهل حمل الانسان الأمانة أم عبس وتولّى وعاند واستكبر وعصى واستعصى. جاء في كتاب الله العزيز (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وما هذا إلاّتذكرة للإنسان بأنه

حر في اختياراته ومسؤول عن هذه الإختيارات. فهو القادر على السمو والارتفاع حتى يتواصل مع باريه فتغمره أنوار النعمة والتأييد. وهو القادر أن ينتكس ويرتكس فيسقط من أعلى عليين الى أسفل سافلين حيث سعير الأنفس الأمّارة بالسوء التي يتجحم بها المرء بجهله ويتلضى بنار كثافة صلصاله فيحترق بعناده وصدوده حتى يغدو رمادا سدى لا انتفاع به ومنه. وما كان الله ليبدع الإنسان سدى. وجاء في كتاب الله العزيز أيضا : وأمّا بنعمة ربك فحدّث. وهل هناك نعمة تعادل نعمة العقل الحر المسؤول. كهف الاخلاق المناقبية ومعدن الحقائق البديهية. وهل هناك نعمة تعادل السفر في بحر المعرفة العرفانية حيث لمعات الفضائل البرهانية وكشفات أنوار ومعاني الأحدية والصمدانية. هل هناك نعمة تعادل التواصل مع الألوهة بواسطة العقل الكلي والنفس الكلية كما يتواصل الشذا مع ورده والعبير مع بنفسجه والشوق مع حبيبه. وهل هناك رفض للنعمة الإلهية يعادل العناد والاستكبار والأذى والتخريب؟ وعدم رضانا بما نملكه وما نحن عليه وطلبنا بوسائل ملتوية دائما وأبدا للمزيد. وعدم قناعتنا بحلولنا حيث وجدنا وسعينا للذهاب دوما الى مكان أقصى وأبعد. هل هناك رفض للنعمة الالهية يعادل ما تطبّع به هذا الشرق العتيق من طبائع الظلم والإستبداد وممارسة السلطات حسب الميول والرغبات والمنافع والشهوات. ومصادرة عقول الناس وحرياتهم ومنعهم من تحقيق انسانيتهم عبر اكتساب العلم وممارسة العمل والتحرك الهادف باتجاه التطور والإرتقاء.

وهل هناك رفض للنعمة الإلهية يعادل ما قام به الغرب ولا زال من حداثة وعولمة فصلت بين المعرفة والفضيلة فكثرت المعرفة حتى الفيضان وشّح نبع الفضيلة حتى تصحرت الأنفس وأجدبت الضمائر. هل هناك رفض للنعمة الإلهية يعادل مفاهيم هذه

الرأسمالية الحديثة المتوحشة التي فككت الارتباط بين المعرفة والفضيلة (وهما في الأساس وجهان لحقيقة واحدة) فجعلت المعرفة مطيّة لشهوة السيطرة واغتصاب خيرات الشعوب المستضعفة فزادت من قوة القوي حتى جعلته جبارا معتديا جشعا جائعا باستمرار ولا يشبع ولو أطعمته كل نتاج الأرض. ظمئاً لا يرتوي ولو سقيته كل أنهار الذهب الأسود والأصفر والأبيض.

إنها غريزة التملك التي أفلتت من عقالها فحولت الإنسان في الغرب الى وحش مفترس ليته يقتل عن جوع ليأكل فقط. ولكنه يقتل ليتلذذ بتعذيب ضحيته واستعراض قوته وطبائعه العدوانية. معرفة الغرب التي تمشي على رأسها ولا تمشي على قدميها حولت الانسان من كائن عاقل حر مسؤول اجتماعي بالفطرة الى كائن مستهلك حتى أقصى مراتب الجشع في الاستهلاك. اذا امتنع فمه عن الاكل نتيجة التخمة أكل الدنيا بعينيه.و اذا امتنعت أعضاؤه الجنسية عن الممارسة إرتواء أو عجزا اغتصب كل نساء الأرض بخياله المنحرف وأحلامه الشاذة التي عبّر عنها في أفلامه الإباحية وموسيقاه الشيطانية.

جاء في المدينة الفاضلة للفيلسوف الفارابي : أن الفضيلة هي الوقوف عند مقادير الأشياء ومحاكاة الشيء لطبيعته التي فُطر عليها.فالطبيعة التي فطر عليها اليسر هي الكرم والعطاء. والطبيعة التي فطر عليها الفقر هي التعفف والإباء. والطبيعة التي فطرت عليها القوة هي المروءة والعفو. والطبيعة التي فطرت عليها السلطة هي العدل ووضع الأمور في نصابها الصحيح أما الطبيعة التي فطرت عليها الرعية فهي الطاعة والولاء.
فأين نحن اليوم من محاكاة طبيعة الأشياء واستلهام فطرتها. عندما قال الله في كتابه العزيز إعتبروا يا أولي الألباب. فأنما كان يقصد بذلك أن ينظر الإنسان بعين بصيرته الى مجرى الأمور في سياق الطبيعة والمجتمع ويأخذ العبر بمنطق عقله ورهافة ذوقه.فاذا

نظرنا اليوم الى ما يفعله الغرب الرأسمالي بحداثته التي أفرطت في الاستهلاك الفاسد حتى وصلت الى مراتب الجشع والتكالب. ولم تكتفِ بإفراطها الذاتي بل حاولت ولا تزال تعميم منهجها وعولمته ليشمل البشرية قاطبة. فمن تعميم الإباحة والخلاعة الجنسية حتى أصبح الحب والإخلاص مدعاة للهزء والسخرية. الى تعميم التدخين والمخدرات حتى أصبحت مراودة دور العبادة والتعفف علامة تخلف وتعصب. الى تفكيك للأسرة واستباحة جميع المحرمات حتى أصبحت فلسفة الإنسان الغربي وعلامة وجوده ما قاله جان بول سارتر في كتابه الغثيان : أنا أرفض إذن أنا موجود. فهل وصلنا الى زمن أصبح فيه رفض القيم الدينية والعقلية وافساد الانسان لفطرته ولما انطبع في جوهر نفسه من البديهيات هو علامة وجودنا وبرهانه؟ هل وصلنا الى زمن أصبح فيه الانسان المحصن عن الاباحة الجنسية وتعاطي المخدرات إنسانا متخلفا متعصبا. والإنسان الذي لا يرعى ذمة لمحارمه وجيرانه وسلم قيم مجتمعه بزرع الفوضى والضياع والتشتت والجري مع الأهواء واطلاق العنان للغرائز واستباحة أعراض الناس وممتلكاتهم علامة الانسان الذي يماشي روح العصر بالحداثة والعولمة؟

اذا كان الفيلسوف الانكليزي هوبز قد قال بأن طبيعة الانسان هي طبيعة ذئبية فهو يتلذذ بانتزاع الأشياء من الآخرين تعديا واغتصابا ويكره أن يأخذ محاورة وتفاهما وتبادلا. هو بطبعه ينشد السيطرة والتعدي واحتكار الخيرات لنفسه وذريته فهذه هي لذته وسعادته. فنحن أبناء التوحيد والعرفان نقول أن سعادة الانسان هي في اكتساب المعرفة المتماهية مع منطق العقل وبديهياته. وفي السعي لبناء مجتمع عادل متوازن كل فرد فيه يتواجد في المكان الذي توجده فيه امكانياته وكفاءاته. وفي السعي للوصول الى سلام اقليمي وعالمي تتوازن فيه الدول والمجتمعات تحت مظلة الخير العام لكل بني البشر. نحن أبناء العقل ولسنا أبناء الظلاميات العنصرية والفئوية والغرائز الذئبية فسعادتنا جزء من سعادة الآخرين وليست على حساب سعادة الآخرين. وكرامتنا جزء من كرامة الآخرين. شعارنا السلام عليكم ومبدؤنا صدق اللسان والعدل

الذي هو الإعتدال والعقل الذي هو التعقّل ومعرفة مقادير الأشياء والوقوف عند حدّها.

كمال يوسف سري الدين